**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المحاضرة الأولى:** **السرد المغاربي (مدخل تاريخي)**

**أوّلا-مفاهيم أولية:**

**1-مفهوم السرد:**

**أ-السرد لغة:**

ورد في لسان العرب، تحديدا مادة سرد، دلالات مختلفة، ومنها أن "السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا.

سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له"**1** .

**ب-اصطلاحا:**

من المفاهيم الاصطلاحية، أنه يقصد به: "الصوت السردي القائم بفعل السرد، ...، فالسرد من هذه الناحية النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي وهو يروي حكاية، ويصوغ الخطاب الناقل لها"**2**

**2-التحديد الجغرافي للمغرب العربي:**

المغاربة جمع يدل على السكان، في حين المكان يطلق عليه لفظة المغرب، ومنه نستنتج الفرق بين المغاربة والمغرب، أن الأولى تطلق على اسم الجنس، أما الثانية فتطلق على الرقعة الجغرافية.

في حين تتحدد الرقعة الجغرافية للمغرب العربي – حسب أحد الدراسات - على أن "المغرب العربي فضاء طبيعي وجغرافي واقتصادي وثقافي، إنه واجهة العالم العربي على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، وإحدى مناطق العالم حيث تبدو القضايا الجيوسياسية اليوم شديدة التعقيد، وبالرغم من كل التقلبات التي عرفتها مساحته وحدوده بين الجزر والمد على امتداد تاريخه، فهو يمتد من بنغازي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى نهر السينغال والصحراء الكبرى جنوبا، ويكوِّن مجموعة سياسية جهوية تتألف رسميا ابتداء من فبراير 1989م، من خمس دول ذات سيادة هي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا..."**3**.

ومن الملاحظ عليه هنا، هو أن تقريبا أغلبية الدراسات تتفق في هذه الماهية الجغرافية والتضاريسية والبشرية والسياسية للمغرب العربي، إذ لا خلاف حولها.

**3-التحديد الزّمني للسرد المغاربي المعاصر:**

يمكننا ضبط التحديد الزمنيللسرد المغاربي المعاصر بدءا من تاريخ نهاية الحرب الكونية الثانية 1945م، ويمتد إلى يومنا هذا، ويصطلح عليه بالفترة المعاصرة، ومنه السرد المغاربي المعاصر.

**ثانيًا-التّاريخ السردي الأدبي المغاربي:**

السرد المغاربي ليس وليد اليوم، وإنما نقرأ له تاريخا ضاربا بجذوره في الأدب المغربي قديمه، حديثه، فضلا عن العصر المعاصر الذي شهد انتعاشة، وتنويعة لهذه السرود ضمن سيرورة إنتاجية مكثفة. إن بيان الذي سيق معنا، عديد الدراسات التي اجتهدت تأريخا لمدونات سردية ولدت في محاضن هذه التربة، وبادئتها الزمنية محددة بمجموع السرود التي تحدثت عنها دراسة العربي دحو، على أنها مغاربية المنشأ والانتساب، إلا أنها كانت نماذج حكائية اعتمدت على المشافهة، في الوقت الذي غاب عنها فيه التدوين بسبب ضعف لغة الأمازيغيين وهم المغاربة السكان الأوائل المتنسبين إلى هذه الرقعة الجغرافية، مما حرمهم من تدوين هذه النماذج الأدبية، فبقيت معولة على المشافهة، وهذا كله نستخلصه من دراسة العربي دحو**4**.

انتقالا إلى مرحلة الحكم الروماني بالمغرب العربي، يأتي الحديث عند دراسي السرد على الخوض في مدونة سردية مغاربية، أطلق عليها أبو العيد دودو مسمى رواية "الحمار الذهبي"**5**، وهي منسوبة إلى لوكيوس أبوليوس، وهنا نستثمر الفرصة لنقر بالفضل الكبير لأبي العيد دودو الذي قام بترجمتها من اللاتينية إلى العربية. إن هذه المدونة لهي من السرود الأولى التي يعتد بها المغرب العربي، وإن لم تكتب باللغة العربية، إلا أنها ستبقى إنتاجية سردية، قد شهدت ولادتها في أحضان التربة المغربية.

يتمحور المحكي فيها حول قضية الشرور البشرية واستحواذها على قلوبهم بمختلف انتماءاتهم الطبقية، قدمت إلى المتلقين بأسلوب سردي غير مباشر وهو يتزيا بمسوح الرمز، فكان الحمار رمزا لدلالات أخرى أرادها أبوليوس، وهذا الذي أقرت به الدراسات التي قدمت تأويلا حول المدونة السردية، حيث الانبناء على الوحدة الدلالية "الحمار" التي لا يراد بها "ذلك الحيوان الأليف الذي يعتمد عليه الإنسان في شق كبير من حياته اليومية، وخاصة في العهود القديمة، وإنما الحمار هو المسكوت عنه الذي يشع من خلال توظيفه كعلامة قابلة للقراءة والتأويل، تتغيا أفكارا مختلفة وذلك من زاوية رمزية، أو أسطورية، أو خرافية، وبهذا تأتي توصيفة هذه العذابات بمثابة الخرم الذي تنفس منه أبوليوس بوحا عن شرور البشر من مختلف طبقاتهم"**6**، وبهذا تكون علامة الحمار قد أخذت "أبعادا جديدة، ليس صورة استعارية أو وعظية، وليس أداة تعليمية دينية أو أخلاقية، ولكنه شخصية أدبية تتقلب بين العالمِين لتفضح رذائل وشرور المجتمع البشري، إنه قالب جديد حيث حُمِّل"**7**.

وفي مرحلة الحكم الإسلامي، تحديدا عهد الموحدين، والذي كان تقريبا في القرن الثاني عشر، وهنا نشير إلى أن حكم الموحدين قد شمل حكم بلاد الأندلس وبلدان المغرب العربي كرقعة جغرافية واحدة وذلك لأسباب سياسية لا داعي للتفصيل فيها هنا، إلا أن الذي لا خلاف حوله، أن هذه الأراضي الإسلامية كلها كانت مغاربية، وتأتمر تحت نفوذ الدولة الموحدية لمرحلة محدودة من تاريخ حكمها.

في هذه المرحلة تحديدا ولدت إبداعية جديدة، يمكننا الاعتداد بها كمدونة سردية مغاربية انطلاقا من زاوية التوحد السياسي بين كل أقطار المغرب العربي في مرحلة الموحدين، وعلى هذا الأساس سنأخذ بها، إنها مدونة حي بن يقظان؛ لابن طفيل**8** (1100م – 1185م).

إن المتن الحكائي متفرد بعض الشيء في طرحه على مستوى هذه السردية المغاربية التراثية، فمن جهة الظاهر فهي إبداع أدبي، أما في الجوهر فهي فلسفية الطرح والفكرة، حيث الأساس هو التأسيس لقضية أصل اللغة، ومنشأها عند البشر، إلا أنها لم تقدم هذا الطرح بشكل مباشر، وإنما تخير له صاحبه ابن طفيل قالب تخييليا.

مع العصر الحديث، نسجل عودة السردية المغاربية بقوة إلى الواجهة مرة أخرى، والوقفة الأولى نسجلها في الجزائر مع محكي الأديب أحمد رضا حوحو (1911م-1956م)، من خلال مدونته "حمار الحكيم"، وقد أراد بها نقد أحد أقطاب الثالوث المحرم، إنها السياسة، حيث الحمار "تقنية تعبير نقدية للمجتمع ومشكلاته، وعلى وجه أخص الحكومات والسلطات السياسية"**9**.

إلا أن الانتعاشة الحقيقية للسرد المغاربي لم تكن إلا في مرحلة أطلق عليها سمية العصر المعاصر، والتي كانت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، انتعشت السردية المغاربية ضمن سلسلة إنتاجية منوعة، إلى حد التكثيف، ومن أعلام هذا اللون لدينا: الطاهر وطار، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، فضيلة الفاروق، ابراهيم الكوني، ( و- 1948م)، هشام مطر (و-1970م)، أحمد الفقيه حسن (و1942م)، محمد برادة، هادي ثابت، شكري المبخوت**10**، ...إلخ.